تبـــادل الصـــراف بالربعي

كتب الزميل د. احمد الربعي مقالة جميلة قبل ايام بعنوان «دعلة مطلوبة» دعا فيها الى حفلة لتبادل الادوار بين الزوج وزوجته والسيد وخادمه والمدير ومرؤوسيه... الخ. وبالرغم من ان الحديث كان من الاولى ان يوجه له عندما كان وزيرا للتربية والتعليم عندما فشل في ان يضع نفسه في مكان آلاف اباء وامهات الاطفال من ذوي الاحتياجات الخاصة الذين حرموا واولادهم من نعمة توفير مدرسة حكومية او شبه حكومية مناسبة تؤويهم، الا ان هذا لم يقلل من جمال فكرته وانسانيتها.

ذكرتني مقالته تلك بذلك اليوم الذي كنت مدعوا فيه وزوجتي الى عشاء مختصر في بيت صديق عزيز لنا نعرفه وزوجته معرفة جيدة، وكان اللقاء في حديقة البيت. وقد وصلنا واخذنا مكاننا على كراسي الحديقة، وبعد لحظات اقبلت علينا سيدة الدار وابتسامة كبيرة ترتسم على شفتيها، وزوجها يسير خلفها حاملا صينية كبيرة تحمل مختلف انواع الطعام. كان المنظر مفاجأة لنا. فما تعودنا من مضيفنا ان يساهم في أعمال البيت، دع عنك حمل صينية ثقيلة من المطبخ والى الحديقة الخارجية بمفرده. لم يتوقف الامر عند ذلك بل قام المضيف بتكملة الدور واصبح يوزع الصحون والملاعق والشوك ويسكب الطعام وكان يقوم بكل ذلك وسط دهشتنا والابتسامة الغريبة لم تفارق شفتي زوجته. وكان موضوع تبادل الادوار حديث السهرة!

بينت جلسات مجلس الامة الاخيرة مدى حاجتنا لاقتراح تبادل الادوار هذا ليعرف الوزير «الديلوكس» مقدار معاناة النائب العادي في عمله، وليعرف النائب دائم الانتقاد لتصرفات اعضاء الحكومة ما يعانيه الوزير من «تشعيم» وما يواجهه من معوقات في كل مرة يقدم فيها على اصلاح معين!

من المضحك والمبكي في الوقت نفسه، ان الحالة الوحيدة المعروفة في تبادل الادوار هي عندما يصر السيد «المعزب» او حرمه المصون على ان لا يشاركهما الخادم او الخادمة الجلوس في المقاعد الامامية، ويجبروهما، بطريقة مضحكة ومثيرة للسخرية، على الجلوس في المقاعد الخلفية الوثيرة بينما يقوم هو او هي بالقيادة!! ويا امة لا تتردد في تسليم مهمة تربية اطفالها للخدم، وتصر على وضع مصير صحتها بيد الطباخ، وتخاطر بسلامة اولادها بوضعها بيد السائق. وبعد كل ذلك نحتقرهم ولا نرضى بمشاركتهم لنا في المقعد الامامي. فكيف لا تضحك الامم منا؟؟

احمد الصراف